

مستقبل إسرائيل.. ومنظومة الأمن الإقليمي

الكاتب



جميل مطر

جميل مطر

ما زلنا، وإبادة الفلسطينيين مستمرة، نتناقش حول مستقبل العالم في ضوء هذه الإبادة. لهذا النقاش المستعر عنوان رسمي وهو «اليوم التالي لحرب غزة»، ابتكره الفريق الحاكم في البيت الأبيض في سعيه لصنع وضع مختلف في فلسطين العربية، أي في غزة، والضفة الغربية. أتصور أن لديهم مشروع خطة، وأفكاراً كثير منها مشوش، أو رغائبي، أو مبني على مسلمّات بعينها، من واقع مصالحهم، وطموحاتهم

من المسلمّات مثلاً، أن النكبة الأولى في فلسطين أثمرت دولة إسرائيلية، ووعداً غير قابل للتنفيذ بإقامة دولة فلسطينية، وأنها، وأقصد النكبة، نشأت وترعرعت في أحضان تفاهم غربي سوفيستي، ونفاق متشعب داخل القوى السياسية الفاعلة في دول أوروبا الخارجة لتوها مع أمريكا من حرب عالمية، وأنها، وما زلت أقصد النكبة الأولى، وإن حققت بعض أهدافها الإسرائيلية، فقد تسببت بتغيرات، بعضها حاد في عدد من الأقطار العربية، وحفزت المقاومة ضد الاستعمار الغربي حتى تحقق للمقاومة النصر. من المسلمّات أيضاً، أن فضلاً كبيراً يعود إلى المحرقة التي استخدمها الغرب وإسرائيل كدرع يحمي الدولة الإسرائيلية الناشئة من غائلة التقلبات في العلاقات الدولية، ومن غضب العرب حين وجد

أبداً بالمحرقة باعتبار أنها، وهي المبرر الأحدث لاستمرار الوجود الصهيوني على أرض فلسطين، صارت ضحية من ضحايا التوحش الإسرائيلي في الحرب ضد سكان غزة. لا غرابة في التصريح بأن رد الفعل الإسرائيلي لطوفان الأقصى «ربما» حرق المحرقة

أغفل المسؤولون الإسرائيليون، والأمريكيون، وبعض الأوروبيين، حقيقة أن توحش الجنود الإسرائيليين ضد شعب غزة، بخاصة أطفالها، سوف يطفئ وهج المحرقة النازية، وبالتالي، يضعف من شرعية دولة إسرائيل. لا جدال في أن جيش

إسرائيل تجاوز بأفعاله في غزة ما فعله النازيون باليهود، هذا على الأقل صار جزءاً مما يردده ملايين المشاهدين أمام شاشات التلفزيون، وأجهزة المحمول. لا أظن أنني على امتداد حياتي رأيت مسؤولاً سياسياً منكسراً بالحرع وخيبة الأمل كما رأيت بالأمس المسؤول الأول في ألمانيا، يبرر مواقف حكومته، بخاصة مواقف وزير خارجيتها من حرب غزة، ثم التراجع عن هذه المواقف

رحنا أيضاً، نراقب باهتمام مواقف وسياسات رسمية أوروبية تعكس حال ارتباك. تحدثت مع مصدر قريب من مركز صنع القرار في الاتحاد الأوروبي. حاولت أن أتعرّف إلى العوامل التي دفعت حكومات أوروبا إلى تغيير موقفها من حرب غزة.. فهمت أن العوامل أربعة، وهي أولاً، ضغط الرأي العام في داخل كل دولة. وثانياً، الضعف الظاهر في أداء واشنطن إزاء تطورات الأزمة في غزة. وثالثاً، انحدار مكانة ألمانيا في القارة الأوروبية. ورابعاً: عدم قدرة فرنسا في الحلول محل ألمانيا

لم يعد خافياً الضغط الذي تمارسه الولايات المتحدة، ودول أوروبية، على الدول العربية للقبول بصيغة مناسبة لمستقبل الحكم في غزة، وخلق نواة لشرق أوسط جديد. مرة أخرى يتداول الطرفان، الأمريكي والإسرائيلي، حول بدائل تضمن لإسرائيل الهيمنة التي تحقق الشروط التالية لأي بديل يتفق عليه. من هذه البدائل

أولاً: يبقى الأمن في يد إسرائيل في شكل احتلال إسرائيلي مباشر يمارس مهام الأمن العسكري وشؤون الإدارة المدنية *

ثانياً: يبقى الأمن في يد إسرائيل في شكل احتلال عسكري وتسليم الإدارة المدنية إلى حكومة عشائر تخضع لسلطة * جيش إسرائيل

ثالثاً: في وجود سلطة الاحتلال وحكومة عشائر، يجري تشجيع السكان الفلسطينيين على الهجرة عن طريق تنفيذ * خطة تتضمن تغيير مناهج التعليم والتوسع في استيراد عمال من دول نامية، وتقييد فرص العمل بالنسبة للفلسطينيين

لا أخفي، ولن أخفي في أي وقت، تعاطفي مع يهود عرفتهم في الولايات المتحدة، وأقلّ منهم في الأرجنتين، وأكثر دول أوروبا، طلقوا الصهيونية منذ زمن، ويهود في مواقع عدة اكتشفوا مؤخراً، خلال الحرب على غزة، أنهم كانوا مخدوعين. ولكن تبقى حقيقة أخشى أنها صارت واقعة، وهي أن نسبة كبيرة في الشارع الإسرائيلي راحت في السنوات الأخيرة تتطرف في يمينيتها وعنصريتها إلى حد الهوس، وبعضه شرير ومرعب. لا شك في أن التطرف في إسرائيل يهدد الأمل في أن يكون للعرب، دول مستقلة كاملة السيادة. يدفعنا لهذا اليقين اقتناعنا نحن وغيرنا، بأنه إذا خرجت إسرائيل من حربها الراهنة منتصرة، وأمريكا تريد أن تخرج منتصرة، فسوف تطبق على سياستها الإقليمية خيار الهيمنة الذي تجيده أكثر من غيره من تفاصيل تاريخها الحديث، والأحدث كما نرى الآن في فلسطين المحتلة حيث تمارس كل ما هو مبدأ استعارته [Über alles] «وحشي في هذا الخيار، وتجيد، أو بالأحرى تعتنق منه وتطبق مبدأ إسرائيل «فوق الكل من مرحلة سوداء في تاريخ شعبها

كثيرون من حولنا يعتقدون أن هناك ما ينبئ بأن المستقبل الوشيك لإسرائيل سوف يحمل لنا، وللأمل الفلسطيني، سوء المصير ما لم نسرع الخطى نحو تحرير منظومة السياسة الخارجية المصرية من قيود فرضتها ظروف مراحل سابقة، كشرط كافٍ وضروري نحو بناء منظومة فعالة للأمن الإقليمي تصدّ عن الأجيال العربية الجديدة هذا المصير

هنا يطول الحديث، ويجب أن يطول..

